ماذا بعد ؟!

18-5-2004

هذه الذئاب البشرية التي تتشدَّق بحقوق الإنسان ... وتتحدث عن كرامته ... وتنادي بحريته وتحريره تتحرك كالحرباء مغيِّرةً ألوانها لتتكلم حسب الجو والمكان وتظهر كالذئاب مبديةً أنيابها وضحكتها المسمومة لتفحَّ نقعها كالأفاعي وتنفث رجومها كالشياطين في كل مكان تحلُّ فيه كأنَّ ممثِّليها هم الأبالسة وإن ظهروا في صورة الآدميين ... فهم هم من أكلوا حقوق البشر جهاراً نهاراً !!!! وهم هم من امتهنوا كرامته عياناً بياناً !!!! وهم هم من سلبوه حريته وكبلوه ليستعبدوه من جديد !!!!

بقلم **د . محمد إياد العكاري**

سقطت الشيوعية قبل ما ينيف عن عقدٍ من الزَّمان، وأفل نجم الكرملين ليتهاوى سريعاً من وقع الأحداث المتتالية على مرأى من العالم المندهش لما يجري في الاتحاد السوفيتي سابقاً من أحداثٍ ووقائع ووجه العجب في ذلك هو ذلك السقوط السريع والمريع لهذا الكيان المترامي الأطراف الذي كان ندَّاً للولايات المتحدة بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى لتجعله بعد ذلك مزقاً وأشتاتاً، مقطع الأوصال ممزق الأحوال، واللعنات تتوالى على من زجُّوا بالبلاد في أتون الشيوعية الحمراء طيلة ستة عقود خلت لتحرقهم وتحرق من حولهم بويلاتها وما قدمت لهم سوى الفقر والجوع، والضَّنك والحرمان بمبادئ عاكست فطرة البشر، وأوقفت نبض المشاعر فيه، فجعلته آلةً صمَّاء فكان المصير المحتوم لها أن شيع نعش الشيوعية ومرَّ من أمام قصر الكرملين والساحة الحمراء في موسكو على مرأى من حملوها قبل غيرهم، ولم تجد من يمضي خلفهـا ويتبع رمـسها إلا حفنة من أولئـك الذين كانوا يعلقون النياشين الحمراء على صدورهم، فمضت إلى مقبرة التاريخ غير مأسوفٍ عليها، وأضحت سبَّةً على من حملها على مر السنين.

حدث ذلك والعالم فاغر فاه غير مصدق لما يحصل أو يراه !! وكان ما حصل هو المصير المحتوم لكل من يخالف الفطرة، ويعاكس طبعها، حاكماً بالبطش والجبروت، ناسياً دورة عجلة الأيام على مر الزمان، قال عزَّ من قائل:((فأقم وجهَكَ للدِّين حَنيفاً فطرةَ الله التي فَطَرَ النَّاس عليها لا تَبديلَ لخَلقِ الله ذلك الدِّينُ القَيِّم ولكنَّ أكثَرَ النَّاسِ لا يَعْلمُون)) الروم 30.

ثم كانت المبادئ الاشتراكية التي فرختها الشيوعية ونمت في أحشائها وترعرعت على صدرها بأسماء مختلفة، وألقاب مزدلفة، حاملةً رسالتها المزيفة إلى كثير من بلداننا العربية وعالمنا الإسلامي ليتلبَّسوا بها وينادوا بدعواها، متمنطقين بالشِّعارات البرَّاقة، واللافتات التي تخلب أسماع الناس دون أن يكون لها من رصيد الواقع شيء، كحكم الشَّعب للشَّعب ؟!وحكم الشَّعب لنفسه!؟ وقرارات الطبقة الكادحة واتحادات العمال والفلاحين؟!

وادعى من حملوها أنهم يحملون هموم الشَّعب، ويتكلمون باسم الشَّعب وغايتهم رفاهية الشَّعب، وأمنيتهم رقي المجتمع وتطور البلاد ولكن يا للأسف كان فعلهم عطباً وجمعهم حطباً فاحترقوا وحرقوا، فقد سلبوا قوت الشَّعب !!وسكنوا قصور الشَّعب ؟! وقتلوا باسم الشَّعب!! وسلبوا كرامة الشَّعب !! وهتكوا عرض الشَّعب !! واغتصبوا كيان الشَّعب ليصبح الشَّعب ضحيةً لتسلطهم واستغلالهم، قابعاً في كهوف مظلمة... لا يرى فيها الحرية بله الحياة... ولا يصله من حقوقه سوى الفتات... لترى على الفتات رفاة... وتؤدى على الشَّعوب الصلاة.

أما ما جاءنا من الغرب، وهبَّ علينا من رياحه و سمومه وبالتَّحديد من أمريكا فقد وصل بنا الأمر إلى حد الإقياء والغثيان مما نراه ونشاهده ونسمعه من الشعارات الجوفاء والأقوال الفارغة عن الديمقراطية وحقوق الإنسان التي يتشدَّق بها هؤلاء ولا تمت فعالهم بشيء إليها من قريب أو من بعيد بل لا تمت إلى الحضارة بشيء بله إلى الإنسانية التي تلعن فعالهم في كل أقطار الدُّنيا حتى على أرضها، لنراها جسماً بلا روح وصورةً بلا حقيقة عديمة الإحساس بالآخرين لا ترى إلا نفسها، فما رأيناه وشاهدناه من صور الخزي والعار الأخيرة التي ظهرت على شاشات الرائي فيما فعله جنود الولايات المتحدة في العراق وسجونه وما تحمله من فظاعةٍ وبشاعةٍ !!؟ وشرورٍ وفجورٍ !! لتلطخ مطلع هذا القرن وترمي أهله بأبشع الأوصاف والنعوت.

فقد تخضَّبت العيون بصورٍ يندى لها جبين البشرية على مر العصور !!! بدءاً بالتَّعري والاحتقار!!؟؟ مروراً بالاغتصاب والشُّذوذ !!؟؟ مترافقةً مع صور الإهانة والازدراء !؟؟

لنرى موات أحاسيس الجلادين من السَّجانين الأمريكان تجاه من هم تحت سلطتهم وهذه مرآة لأخلاقهم وصورةٌ جليَّةٌ لفعالهم في هذا البلد التي كانت تسمى عاصمته مدينة السلام وكانت عاصمة الخلافة ومنها نبعت العلوم وفيها مهد الحضارة الإنسانية جمعاء لتظهر صور السَّادية والعنصرية والتَّكبُّر والعجرفة وامتهان الإنسانية وكرامة الإنسان بأجلى صورها وأردى أحوالها في هذا البلد العريق أصالةً والعراق شهادةً متذكراً في هذه الحالة القول العربيَّ المأثور:

(إذا أقبل السَّعد باضت الحمامة على الوتد وإذا أدبر السَّعد بال الحمار على الأسد)

وحالنا يشرحه هذا القول البليغ الذي يصور الواقع الأليم الذي نعيشه والصورة المهينة المخزية التي تحياها الأمة ويجسدها قول الشاعر:

هان الهزبر في حرم البغل واستأسدت على الليث دودة.

أيُّ بشرية هذه ؟! وأيَّ جنسٍ نراه حلَّ في بلاد المسلمين سفكاً وتدميراً وإهانةً وتحقيراً ؟!

أهم من جنس البشر ؟! أم من صنف الحجر ؟!

والعذر الجميل من الحجارة والتَّراب فمعدنها أصل البشر ...

وأكرر اعتذاري فالحجارة أفضل من كثيرٍ ممن لهم ملامح البشر ويتكلمون بلغة البشر كما قال ربنا سبحانه وتعالى :
((وإنَّ من الحجارةِ لَمَا يتفجَّرُ منهُ الأنهارُ وإنَّ منها لَمَا بشقَّقُ فيخرجُ منهُ المَاء وإنَّ منها لَمَا يهبطُ من خَشيَةِ الله وما الله بغافلٍ عمَّا تَعمَلون)) البقرة 74صدق الله العظيم
أجل أليس الحجر أسمى من كثيرٍ من البشر؟! أليس الحجر هو الذي قتل الدَّابة العظيمة التي اعترضت النَّاس ووقفت على قارعة الطريق في قصة الفتى المؤمن ليثبته الله على الحقِّ ويريه أحقيَّة أهل الإيمان بالصُّحبة وأنَّهم خيرٌ من السحرة والفجرة والمشعوذين والدَّجالين فكان أن أجرى الله على يديه آيات بينات تتناقلها البشرية جيلاً بعد جيل لتكون عبرةً لنا حتى في هذا الزمان.
ثمَّ ألم يرسل الله سبحانه طيراً أبابيل بحجارة من سجِّيل لتجعل إبرهة وجنوده كعصفٍ مأكول ؟؟!
ثمَّ أليست الحجارة هي سلاح أبطال الانتفاضة في فلسطين لتجعلها قذائفاً ونيراناً تتلظَّى على الصهاينة المحتلين ؟؟ أجل والله ما أرقى فعال الحجارة وأهلها وما أقبح فعال كثيرٍ من الناس في هذا الزمان ألا بئس ما فعلوه وشاهت وجوههم بما عملوه.
أيُّ رياح هبت علينا من أمريكا كالحةً سوداء، ظلامية الرؤيا، ضبابية المشهد ترينا وجوهاً تحمل الحقد وتنفث الكراهية، تحمل كل قبيح، وتمتهن كل جميل في بني البشر كأنها وجوه أهل النار والعياذ بالله
هذه الذئاب البشرية التي تتشدَّق بحقوق الإنسان ... وتتحدث عن كرامته ... وتنادي بحريته وتحريره تتحرك كالحرباء مغيِّرةً ألوانها لتتكلم حسب الجو والمكان وتظهر كالذئاب مبديةً أنيابها وضحكتها المسمومة لتفحَّ نقعها كالأفاعي وتنفث رجومها كالشياطين في كل مكان تحلُّ فيه كأنَّ ممثِّليها هم الأبالسة وإن ظهروا في صورة الآدميين ... فهم هم من أكلوا حقوق البشر جهاراً نهاراً !!!! وهم هم من امتهنوا كرامته عياناً بياناً !!!! وهم هم من سلبوه حريته وكبلوه ليستعبدوه من جديد !!!!
آه آه وليتها تنفع الآه...
لا غرابة فيما فعلوه ولا اندهاش فيما صنعوه فلنرجع إلى الوراء ولنتذاكر التاريخ الذي يشهد عليهم بكفيه وأصابعه العشر
فهم هم من أباد الهنود الحمر وهم أهل أمريكا الأصليون ليقيم كيانها على أشلائهم !!!
وهم هم من ألقى بقنبلتي نياغازاكي وهيروشيما على اليابانيين في الحرب العالمية الثانية مبيدين مئات الآلاف من بني البشر !!!!
وهم هم من غزا فيتنام وتفنن في فنون الإبادة والقتل والتدمير فيها مهلكين الحرث والنسل !!!!
وهم هم من استخدم الأسلحة الفتاكة المدمرة في أفغانستان، وأسقط

مئات الألوف من القنابل التي يشيب لهولها الولدان !!!!
وهم هم من غزا بلاد الرافدين ليسلبوا خيراتها ويعيثوا فيها فساداً بدعوى البحث عن أسلحة الدمار الشاملة التي كانت لعبةً قذرة من كيدهم، ودميةً سمجة من مكرهم فدكوا البلاد وأحرقوا العباد شيوخاًوأطفالاً ورجالاً ونساء بدعواهم التي ليس لها من رصيد الحقيقة شيء !!!
دمَّروا البنية التحتية وهدَّموا دور العبادة واستهانوا بالقيم والمقدسات !!!؟؟؟؟
لقد عاثوا ببلاد الرافدين فساداً، أرض الذَّهب الأسود والماء، وليس في العالم أجمع من اجتمعت له هاتان إلا العراق فعبثوا وعاثوا بأرض الحضارات فساداً لينتهبوا خيراته على مرأى ومسمع من العالم الحر كما يدعون وبئس عالم اليوم عالم السَّادية الذي يحكم بمنطق القوة والجبروت.
أما الأمم المتحدة وميثاقها فجديرٌ بنا نحن العرب والمسلمون أن نصفق لها على بقائها على هامش الأحداث وعلى الأخص إذا كان الأمر يتعلَّق بالمسلمين لنرى العجب العجاب في صمتهم وتولِّيهم عن المذابح والمجازر التي يكون المسلمون فيها الضحيَّة.
آه آه مما نراه في أيامنا هذه فهاهم ينتهبون ثرواتها، ويقطعون أوصالها، يسلبون أمنها ويسكبون نارهم عليها ليلقوا بعلمائها في أتون الجحيم ترهيباً وتقتيلاً وتهجيراً وهم ثروة الأمة وعدة نهضتها ورقيها
ثمَّ ماذا بعد ؟؟ وماذا ننتظر ؟؟؟ وأيَّ دربٍ نسلك ؟؟؟؟
فالشَّرق نكدٌ وشقاء ... والغرب مكرٌ ودهاء ... وأمريكا الاحتلال وصورةٌ شوهاء...واغتصابٌ لأرضنا ودماء ... ونحن يا سادتي النبلاء في محنةٍ وبلاء ... بين شعوب الأرض غثاء
فماذا ننتظر بعد ذلك ؟؟؟؟؟؟ وكيف السبيل ؟؟؟؟؟؟

مَالي أراكِ بغيرِ وجهكِ أمَّتي ؟؟؟
ماذا دَهاكِ وعودُ جسمكِ نَاحلٌ ؟؟؟ القَيتِ قَودَكِ للصَّليبِ مطِّيباً
ومَضَى يشلُّ كَيانَها مُستنزفاً
هلا استبنتِ سبيلَ مجدكِ أمَّتي ؟؟؟ تتخبَّطينَ ونَهجُ رشدكِ واضحٌ !! وتُهادنين وكيدُهم مُتعاظمٌ !!
فلتَنشُدي الإسلامَ نبراسَ العُلا
وبهُ يخطُّ الفَجرُ قوسَ تَألُّقِ .
لا العزُّ فيه ! ولا القَرار حَكيمُ !!
وبهِ القُروحُ وحَاله مَسقومُ !!
فأتاكِ منهُ مخدِّرٌ وسُمُومُ
وسَرى الخَرابُ وعُمِّمَ التَّقسيمُ
ومنارَ عزِّكِ ؟؟؟ إنني لمُليمُ ؟؟؟
أوتَرقدينَ وعرضُنا مَكلومُ ؟؟؟

واللَّيلُ يَغشَى والظَّلامُ بَهيمُ
فبهِ الكَرامَةُ بل بهِ التَّكريمُ
فَوقَ البلادِ ويختَفي التَّنجيمُ .
لا يصلح حالنا إلا بالإسلام ولن تنهض الأمة إلا به وليس لنا عزةٌ في سواه ...
كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه :(نحن قومٌ أعزَّنا الله بالإسلام وإذاما ابتغينا العزَّة بغيره أذلَّنا الله)
فهل من مستبصر ؟؟ وهل من مدَّكر ؟؟
والحمد لله رب العالمين .
د.محمد إياد العكاري 27/3/1425 هـ